الطائرة الشبح

محمود سالم

الطائرة الشبح

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

الطائرة الشبح

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٦ ٢٨٣٩ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٩٢.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
الطائرة الشبح!	١١
لقاء في المكسيك!	١٧
لَهْو ... طيور النورس!	٢١
الخدعةُ!	٢٧
المفاجأةُ!	٣٣
الخطة الجهنمية!	٣٩
خطة للهروب!	٤٥
معركة في السماء!	٤٩

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

الطائرة الشبح!

تعلَّقَت أعينُ الشياطين الـ «١٣» بمكان رقم «صفر» الذي يُحيطه الظلامُ الذي يُخفي تفاصيلَه ... بينما هم جالسون داخل قاعة الاجتماعات الواسعة في كهفِ الشياطين.

مال «عثمان» إلى «أحمد» قائلًا: يبدو أن رقم «صفر» غيرُ متعجلٍ هذه المرة ... وحتى الاستدعاء الذي جاءنا منه لم يكن ملحًّا أو عاجلًا.

قطع حديثَ «عثمان» دخولُ رقم «صفر» إلى المكان ... وخطواته الهادئة المتزنة وهي تتجه إلى ركنِه المظلم ... ثم استقرَّ مكانه قائلًا: مرحبًا بكم!

أجاب الشياطين التحيةَ ... ولاحظوا الملف الأحمر اللون الذي في يد رقم «صفر» والذي وضعه فوق المنضدة على يساره، ثم قال: إن مهمَّتَكم القادمة تتعلق بشيئين في وقت واحد ... أولهما يتعلَّق بأحدث التكنولوجيا العالمية ... والشيء الآخر يتعلَّق بمصدر للطاقة تكون له أهميته على مدار آلاف وملايين السنين وهو البترول ... الذي تدور حوله في عالمنا المعاصر الآن صراعاتٌ لا نهاية لها!

سادَ صمتٌ عميقٌ عندما امتدَّت يدُ رقم «صفر» إلى الملف الأحمر وراحَت تُقلِّبه ... ثم قال: تعلمون أن حلم الإنسان منذ بداية التاريخ الإنساني أن يتمكن الإنسان من الطيران مثل الطيور ... وهو ما انتهى به إلى اختراع الطائرة الحديثة ... والتي تحوَّلَت إلى أكبر نعمة عرَفها الإنسان؛ لأنها يسَّرَت له وسائلَ الانتقال السريع جدًّا ... وإلى أكبر نقمة أيضًا عندما تحوَّلَت إلى قاذفات للقنابل والصواريخ ... ويكفي أن الطائرات الألمانية دمَّرَت «لندن» تمامًا في الحرب العالمية الثانية، ثم فعلَت طائرات الحلفاء نفسَ الشيء بالعاصمة الألمانية وقتلَت الآلاف. كما أن أول قنبلة نووية أُلقيَت في التاريخ على المدينتَين اليابانيَّتَين «نجازاكي» و«هيروشيما» ... أُلقيتَا بواسطة الطائرات الحربية في أكبرِ جريمةٍ بشريةٍ تسبَّبَت في قتل عشرات الآلاف ... وحتى الآن لا يزال هناك مَن يُولَد بتشوهاتٍ خلقيةٍ بسبب تأثير هذه

القنبلة النووية ... والآن فإن مصانع إنتاج الطائرات وأحدث المعامل تُفاجئنا كلَّ يوم بأنواع أكثر تطورًا وقدرةً من هذه الطائرات سواء المدنية أو الحربية ... ومنذ سنوات قليلة تمَّ اختراعُ الكونكورد الأسرع من الصوت بثلاث مرات ... ومكوك الفضاء الذي يستطيع السباحة خارج الغلاف الجوي كأنه سفينةُ فضاء ثم يعود للأرض مرةً أخرى ويهبط كطائرة.

قال «أحمد»: هناك أيضًا أحدثُ طائرة في العالم. الطائرة الشبح والتي ظهرَت في حرب الخليج.

رقم «صفر»: إنه الشيءُ الأول المتعلقُ بمهمتكم القادمة.

تبادل الشياطين نظرةَ دهشةٍ ... وأكمل رقم «صفر» وهو يقلِّب في الملف الأحمر أمامه: لقد كان سببُ تحوُّلِ دفَّة المعارك في الحرب العالمية الثانية هو اكتشافَ الإنجليز للرادار. ذلك الجهاز الساحر الذي أمكن بواسطته مطاردة المقاتلات الألمانية المُغِيرة على لندن والتنبُّؤ بوصولها وتحديد أماكنها بدقة بدون الاعتماد على رؤية العين ... وبفضله تمكَّنَت القوات الإنجليزية من التصدِّي لطائرات الألمان وتدميرها أحيانًا قبل وصولها إلى أهدافها ... فتحصَّنَت الجزيرةُ ... الإنجليزية من الغارات الألمانية بفضل الرادار. وهو جهازٌ يعمل كما تعلمون بإرسالِ ذبذباتٍ من هوائيٍّ دائريٍّ ضخمٍ إلى السماء، وهذه الذبذبات عبارة عن موجات مغناطيسية لها خاصيةُ الانعكاس إلى الأرض عندما تصطدم بجسمٍ معدنيٍّ مثل الطائرات ... فتعود للظهور على صفحة شاشة الرادار على شكلِ نقطٍ مضيئةٍ إلكترونيةٍ كرءوسِ الدبابيس ... يتناسب حجُمها مع حجم الرأس الذي اصطدمَت به ... وبتطوير الرادار أمكن معرفة نوع الطائرة التي يرصدها من شكل نقطها على صفحة الرادار.

رفع رقم «صفر» عينَيه إلى الشياطين وهو يُضيفُ: وباختراعِ الرادار أمكن مراقبةُ السماء وكشفُ أيِّ تسلُّل للطائرات ولو لم تلحظه العين ... وبذلك استحال على أيةِ دولةٍ أن تخترقَ بطيرانها سماءَ دولةٍ أخرى دون أن تنكشف ... وبذلك تحوَّل الرادار إلى جهازٍ دفاعيٍّ محايدٍ ... لفائدة كلِّ دول العالم بلا استثناءٍ ... وفي نفس الوقت فقد فكرَت بعضُ العقول في التغلب على هذا السلاح الدفاعي الساحر باختراعِ طائرةٍ يستحيل على الرادار اكتشافُها وتحديدُ موقعها على الإطلاق ... وقد حدث هذا بالفعل.

صمت رقم «صفر» لحظةً وهو يتأمل الشياطين، وقد بدَا عليه كأنه يتذكَّر شيئًا، فقال بابتسامة صغيرة: حدَث ذات مرة وفي أوائل الستينيات أن كان مُقرَّرًا زيارة الزعيم الروسي

«خروشوف» لإنجلترا ... ولم يتحدَّد ميعاد الزيارة، ولكن العاملين بمطار لندن فوجئوا بطائرة مجهولة تُحلِّق فوق المطار وتطلب الإذنَ بالهبوط ... وعندما سألوها عن هويتها، أجاب طيارها بأنها سوفيتية قادمة من روسيا، وبداخلها الزعيم الروسي «خروشوف».

تساءل «خالد» في دهشة: هل تمكَّنَت الطائرة الروسية من دخول المجال الجوي البريطاني دون أن يرصدَها الرادار الإنجليزي؟

رقم «صفر»: هذا صحيح تمامًا ... وبسبب ذلك قامَت ضجةٌ هائلة في بريطانيا واتهم الشعبُ القواتِ الجويةَ بأنها مهملةٌ ونائمة، وإلا فكيف لم ترصد طائراتُها وراداراتُها الطائرةَ الروسية ... لكن «خروشوف» قطع على الإنجليز حيرتَهم وأخبرهم بأن الأمر لم يكن تقصيرًا من القوات الجوية الإنجليزية، بل لأن الطائرةَ مطليةٌ بدهانٍ خاصٍّ يستحيلُ على الرادار اكتشافه ... وأنه أراد أن يُلقِّنَ الغربَ درسًا ... وأن مَن أراد اكتشافَ سرِّ ذلك الطلاء فليحاول ... دون أن ينتظر معونةً من الروس ...

إلهام: لقد ألقى «خروشوف» بالقفاز في وجه الغرب كما يقولون.

رقم «صفر»: هذا صحيح تمامًا ... وقد التقط الغربُ المبادرةَ، فتمكَّنَت أمريكا من صنْع طائرةٍ حربية ذات مواصفاتٍ خاصة، هي الطائرة «ستيلث» وهي كلمة معناها التسلُّل أو الدخول خفيةً. واستقرَّ الجميعُ على إطلاق اسم الطائرة الشبح عليها ... وقد ظهرَت أول طائرة منها عام ١٩٨٥ ثم تمَّ تطويرُها بعد ذلك ... وصار الأسطول الجوي الأمريكي يمتلك عددًا منها ... وأسرارُ هذه الطائرات غيرُ معروفة لغير أصحابها ... وكل المعلومات المتاحة عنها أن طولَها يبلغ ٢١ مترًا، وعرضَ جناحَيها ٥ أمتار، وليس بها أيُّ بروز، وجسمُها انسيابيٌّ كالخفاش الذي أخذَت شكلَه، وحتى المحركات بداخل بدنِ الطائرة ... وحمولتها القصوى تَصِل إلى ٣٤ طنًّا، مداها ١٢,٠٠٠ كيلومتر ... وعيبُها الوحيد هو أن سرعتَها لا تزيد عن ألف كيلومتر في الساعة بسبب ثقل وزنها، وطاقم قيادتها يتكوَّن من ثلاثة أفراد فقط؛ لأن هناك أجهزةً إلكترونية مساعِدة تُغني عن الحاجة إلى طاقم طيارين كبير ... وضغط رقم «صفر» على زرٍّ بجواره فأضاءَت كاميرا سينمائية إلى اليمين وسقطَت صِوَرُها على شاشة بيضاء صغيرة. فظهر بدنُ الطائرة الشبح مستقرًّا فوق الأرض كما لو كانت خفاشًا هائل الحجم ... وتحرَّكَت الطائرة فانطلقَت فوق مدرج الطيران ... ثم ارتفعَت في السماء دون أن ترصدَها أجهزةُ الرادارات الأرضية.

قال رقم «صفر»: إن ميزة هذه الطائرة الشبح هي أنها مصنوعةٌ من لدائن خاصة لا يزال أمرُها سرًّا ... وكل المتاح من المعلومات عنها هو أنه يدخل في تركيبها الجرافيت

الذي يتميز بالمتانة وتستطيع حبيباتُه تشتيتَ الموجات الكهرومغناطيسية، وهي تلتقط بعضها أيضًا ... كما أنها تحتوي على موادَّ عازلةٍ أخرى مثل الصوف الزجاجيِّ، والذي يستخدم لتقليل الانعكاسات الرادارية كما أنه يتم طلاء الهيكل المعدني للطائرة بطلاءٍ خاصٍّ من موادَّ كيميائيةٍ تعمل على امتصاص الموجات الكهرومغناطيسية للرادار. وبذلك فإن أغلب هذه الموجات تُمتَصُّ وتُشَتَّتُ. فلا يرتدُّ منها شيءٌ إلى شاشات الرادار ... ولا تظهر عليه أبدًا فيستحيل اكتشافُها ... وبذلك صحَّ تسميتها بالطائرة الشبح ... فلا أحدَ يمكنه أن يرصدَ شبحًا أو يُطارده!

ريما: ولكن هناك وسائل أخرى لاكتشاف مكانِ أية طائرةٍ في الجو بواسطة الأقمار الصناعية التي تلتقط مصادرَ حرارةِ محركاتِ الطائرة واحتراقها، فتُحدِّد موقعَها بسهولة.

رقم «صفر»: إن هذا لم يغفل عنه صانعو هذه الطائرة؛ فقد وضعوا محركاتها بداخل الجناحَين كما غلَّفوا هذه المحركات بصفائحَ عازلةٍ من مادة «البوليستر وفينيل»؛ لكي تمنعَ الإشعاعَ الحراريَّ، بنسبة لا تقل عن ٨٠٪ ... وبذلك لا تنتبه أجهزةُ رصدِ الحرارة إلى وجود الطائرة لقلة الحرارة المنبعثة منها ...

بو عمير: إنها طائرةٌ فريدةٌ بالفعل ... من العجيب أن الروس كانوا أولَ مَن اكتشفوا سرَّ تلك المادة الكيميائية التي لا يكشفها الرادار ... ثم استغل الأمريكان هذا الاكتشافَ في صنْع الطائرة الشبح.

رقم «صفر»: إن هذا لا يعني أن الروس لم يطوِّروا مثل هذه الطائرة ... فلعلهم يمتلكون مثل هذه الطائرة الشبح دون أن يُعلنوا عنها ... فهم مغرمون بالكتمان دائمًا.

ضاقَت عينَا «أحمد»، وقال: لقد تذكرتُ في العام الماضي حادثةً عجيبة دارَت في سماء باريس عندما ظهرَت طائرة عجيبة كانت تُحلِّق فوق العاصمة الفرنسية بطريقة خطرة ودون إذنٍ من السلطات ... وعندما كان سلاحُ الجوِّ الفرنسي يشرع في مطاردتها فإنها كانت تختفي ولا تستطيع أيةُ طائرةٍ أو رادارٍ رصْدَها ... ومن المؤكد بذلك أنها طائرةٌ من ذلك النوع الذي لا ترصده الرادارات.

رقم «صفر»: هذا لا شكَّ فيه.

قيس: هذا عجيبٌ ... ولماذا يقوم الأمريكان بهذه الألعاب في سماء باريس؟

رقم «صفر»: ومَن قال إن أمريكان هم الذين قاموا بهذه الألعاب ... إنهم ليسوا بحاجة إلى مثل هذه الأعمال البهلوانية لإثبات كفاءة طيارتهم الجديدة.

عثمان: إن هذا معناه أن الروس هم أصحاب هذه الطائرة ... وأنهم امتلكوا الطائرة الشبح أيضًا. وكما قام «خروشوف» بدخول المجال الجوي الإنجليزي متسلِّلًا بطائرته التي لا يرصدها الرادار للسخرية من الغرب، فها هم يفعلون نفس الشيء.

قال رقم «صفر» في ثقة: لا ... إنهم لم يكونوا الروس هذه المرة ... هذا مؤكَّدٌ.

تساءل «بو عمير» في حيرة: إذن مَن الذي قام بتلك الألعاب البهلوانية في سماء باريس العام الماضي؟

أجاب رقم «صفر» في صوتٍ عميقٍ: هذا ما يجب عليكم اكتشافه في مهمتكم القادمة!

لقاء في المكسيك!

تساءل «مصباح» في دهشة: هل سنبحث عن سرِّ طائرةٍ ظهرَت منذ عام واختفَت بعدها دون أن يعرف أحدٌ عن أمرها شيئًا.

رقم «صفر»: لقد عاودَت هذه الطائرةُ الظهورَ منذ أيام قليلة ... في مكان آخر من العالم. ولم يقتصر الأمر هذه المرة على مجرد الظهور ... فقد تسبَّبَت هذه الطائرة في إحداثِ خسائرَ جسيمةٍ.

هدى: وأين ظهرَت الطائرة الشبح هذه المرة؟

رقم «صفر»: لقد ظهرَت في «فنزويلا».

خالد: هل كان ظهورها فوق حقول البترول الفنزويلية؟

رقم «صفر»: هذا صحيحٌ تمامًا. أنتم تعرفون أن «فنزويلا» من الدول الهامة في إنتاج وتصدير البترول، وقد فُوجئ العاملون بأحد الحقول الكبيرة هناك في ظهور هذه الطائرة الشبح وهجومها بالقنابل، وتدميرها لعددٍ من المنشآت في هذا الحقل الكبير، مما تسبَّب في إشعالِ حرائقَ هائلةٍ به وإيقاف الإنتاج.

قالت «إلهام» في دهشة: لقد قرأتُ عن خبرِ اشتعالِ النار في أحد حقول البترول الفنزويلية، ولكن الخبر المنشور في كلِّ الصحف أرجَعَ السببَ إلى خطأٍ فنيٍّ في معدلاتِ ضخِّ البترول وارتفاع درجة الحرارة التي تسبَّبَت في إشعال الحريق.

رقم «صفر»: هذا هو ما اضطرَّ المسئولين الفنزويليِّين إلى إعلانه خوفًا من حدوثِ موجةٍ من الذعر والرعب لكلِّ مَن يملك آبارًا للبترول في العالم والعاملين فيها إذا ما أُعلن عن حقيقة ما حدث.

باسم: ولكن لماذا قامت هذه الطائرة بقصفِ حقلِ البترول الكبير في «فنزويلا»؟

رقم «صفر»: هناك سببٌ واحدٌ بالتأكيد، وهو إحداثُ موجةٍ من الذعر في أسواق البترول العالمية فترتفع أسعارُه إلى درجة الجنون ... وهو ما يمكن أن يُصيبَ الاقتصاد العالمي بكارثة، ويسحق اقتصاد الدول النامية عندما ترتفع أسعارُ وارداتها بارتفاع أسعار البترول ... وليس هناك شكٌّ في أن أصحاب هذه الطائرة الشبح كانوا باستعراضهم لطائراتهم في سماء باريس، إنما يحاولون اختبارَ تلك الطائرة بطريقة عملية ... وعندما أيقنوا من نجاحهم انتظروا بعضَ الوقت حتى ينساهم العالم ... ثم قاموا بضربتهم الخاطفة. ولحسن الحظ فقط تنبَّهَت بعضُ المصادر البترولية لذلك المخطط فلم يشاءوا إعلانَ الحقيقة في سوق البترول.

خالد: إن هذا قد يدفع الطائرة الشبح إلى هجوم آخر.

رقم «صفر»: وهو ما سيحدث بكل تأكيدٍ ... فقد شُوهدَت هذه الطائرة وهي تُحلِّق في سماء «المكسيك» فوق آبار البترول في جولة استطلاعية. ولا شك أن الضربة القادمة ستكون هناك. وقد وُضعت كلُّ القوات الجوية المكسيكية في حالةِ تأهبٍ، ولكننا نشكُّ في أن بإمكانها أن تصدَّ هجومَ الطائرة الشبح أو تُسقطَها بسبب قدرات هذه الطائرة العجيبة.

عثمان: ولكن مَن الذي يمتلك هذه الطائرة ... وما الذي يمكن أن يستفيدَه من الارتفاعِ الحادِّ في أسعار البترول العالمي؟

رقم «صفر»: سأبدأ بإجابةِ الجزء الأول من السؤال ... إن مَن يمتلك هذه الطائرة لا بد وأن تكون جهةً معاديةً لأمن وسلام واقتصاد الدول المصدِّرة للبترول ... ولعله أحدُ سماسرة بيع البترول في العالم ... وهي مسألةٌ تعود عليه بالربح الوفير.

أحمد: ولكن لا أحدَ يمتلك هذه الطائرة الشبح غير أمريكا ... خاصة وأن ثمن الطائرة الواحدة يَصِل إلى ستمائة مليون دولار، ويستحيل على الآخرين امتلاكُها بسببِ سريةِ صناعتها.

رقم «صفر»: إن الطائرة الشبح المهاجمة لا تُشبه الطائرة الأمريكية خاصةً وأنها أقلُّ تطورًا منها ... ولكن مَن يستخدمها تكون لديه إمكانياتٌ تكنولوجيةٌ هائلة، ولديه معرفةٌ بأسرار ذلك الطلاء السحريِّ المضادِّ للرادار.

تساءلَت «ريما» في دهشة: أمَا زالَت هذه الطائرة ومَن وراءها غيرَ معروف.

رقم «صفر»: لقد تعاونَت أمريكا وروسيا لكشفِ غموضِ وسرِّ هذه الطائرة ومَن هو وراءَها، فتوصَّلَا إلى أن وراء هذا المشروع شخصًا يُدعَى «كميل».

إلهام: وكيف استطاع الوصولَ إلى سرِّ هذه الطائرة؟

رقم «صفر»: إنه أحدُ الرءوس العظيمة المفكِّرة، وهو عالِمٌ في الفيزياء، وكاد أن يحصلَ على جائزة نوبل منذ عدة أعوام. غيرَ أن الجائزة تمَّ حجبُها عنه لأسبابٍ غيرِ معروفةٍ، فأصابَه ذلك بغضبٍ شديدٍ، وقرَّر أن ينتقمَ من العالَم.

حتى الآن لا أحدَ يعلم عنه شيئًا ... ولكنَّ الذي لا شكَّ فيه أنه قد تعاون مع البعض من أجلِ صنْعِ طائرةٍ صغيرة خاصة قريبةِ الشبه من الطائرة الشبح، وأنها قد تكلَّفَت مئاتِ الملايين ... وأن مَن قام بذلك العمل وموَّلَه ينتظر الحصولَ على أضعاف هذا المبلغ من فارق ارتفاع أسعار البترول بعد ارتفاع أسعاره.

بو عمير: يا لَها من خطة رهيبة.

رقم «صفر»: لقد أخطأ المشرفون على جائزة نوبل بعدمِ منحِ «كميل» الجائزةَ التي كان يستحقُّها، فجعلوه ينقم عليهم ... وأخطأ هذا العالِمُ في تفكيرِه الجنونيِّ بالانتقام من العالَمِ بأكمله ...

أحمد: بل نحن مَن سيدفع الثمن مضاعفًا ... العالم الثالث بأكمله الذي سيُواجه كوارثَ اقتصاديةً من ارتفاع أسعار البترول.

رقم «صفر»: وهذا ما يجب علينا عمله حتى لا تتحققَ مطامع هذا المجنون.

أحمد: كنت أظنُّ أن مثل هذه العملية ستتولَّاها أجهزةُ الأمن للدولة المصدرة للبترول ما دامَت قد بدأت في العمل على كشفِها.

رقم «صفر»: كان ذلك هو الاتجاه الطبيعي ... ولكن يبدو أن هناك عميلًا يعمل لحساب «المكسيك»، وفي الوقت نفسه يعمل لحساب معسكر أصحاب هذه الطائرة الشبح المجهولين ... وخشيةً من كشفِ تحرُّكاتِهم فقد استقر الأمرُ على أن يتولَّى الشياطين الـ «١٣» هذه العملية ...

عثمان: هل هناك أيةُ دلائلَ على موعدِ هجومِ الطائرة الشبح على حقول البترول المكسيكية.

رقم «صفر»: لقد ثبت في المرة الأولى عند الهجوم على الحقول الفنزويلية أن الطائرة الشبح ظهرَت قبلها بأسبوع. وقد كان ظهورُ الطائرة في «المكسيك» منذ ثلاثة أيام.

أحمد: إذن تبقَّت أمامنا أربعةُ أيام.

رقم «صفر»: ولكنكم ستسافرون حالًا إلى «المكسيك» ...

وفي لهجة جادة عميقة، أضاف رقم «صفر»: ولكن تذكَّروا شيئًا: إنَّ أسرارَ عملِنا الخاصة بالشياطين الـ «١٣» هي أسرار خاصة بنا فقط ...

أومأ الشياطين برءوسهم موافقين ... وأضاف رقم «صفر»: سوف يسافر ستةٌ من الشياطين في هذه المهمة ... «أحمد»، و«إلهام»، و«عثمان» ... و«قيس»، و«خالد»، و«زبيدة» ... وكما أخبرتُكم سوف ينقطع الاتصال بيننا تمامًا ... ولن يمكنَنا تقديمُ أيةِ مساعدةٍ لكم؛ لكيلا نكشفَ عن عملائنا وكوادرنا السرية في «المكسيك» ... وهناك طائرةُ هليوكوبتر تنتظر الشياطين الستةَ بالخارج ستُقلُّهم إلى مطار القاهرة ... ومن هناك ستستقلُّون الطائرةَ المتجهةَ إلى «نيويورك» ومنها إلى «المكسيك». هل توجد أية أسئلة؟

لم ينطق أحدٌ من الشياطين ... وجاء صوت رقم «صفر» يقول: وفَّقكم الله!

لَهْو ... طيور النورس!

هبطَت الطائرةُ في مطار العاصمة المكسيكية في الصباح الباكر ... بعد أن استغرقَت الرحلةُ وقتًا طويلًا من القاهرة ...

استقلَّ الشياطين سيارةَ أجرةٍ من المطار ... حملَتهم بحقائبهم الصغيرة إلى فندق «الثورة»، وخلال الطريق شاهد الشياطين العاصمة «مكسيكوسيتي» وهي لا تزال راقدةً في نوم عميق، وقد ظهرَت شوارعُها خاليةً من المارة ... وبدَت العاصمة كامتزاجٍ مدهشٍ بين المدينة الحديثة المتمثلة في البنايات الهائلة الارتفاع وناطحات السحاب والطرق الحديثة على الشكل الأوروبي وبين المنازل القديمة والطرقات الضيقة والميادين الواسعة على الطراز الإسباني ... وقد احتلَّت الميادينَ تماثيلُ عديدةٌ لأبطال ثورة التحرير المكسيكية ... على حين تناثرَت الهضابُ وقممُ التلال على البعد ... وأحاط بالعاصمة جوٌّ لطيفٌ قبل شروق الشمس ...

أخيرًا استقرَّت السيارة الأجرة أمام الفندقِ الضخمِ المبنيِّ على طرازٍ حديثٍ ... وكانت هناك ثلاثُ حجراتٍ محجوزة بأسماء الشياطين، فحمل موظفو الفندق الحقائبَ لأعلى ... على حين بَقيَ الشياطين الستة في كافيتريا الفندق لاحتساء القهوة والإفطار ...

ألقى «خالد» نظرةً إلى ساعته، وقال: من المفروض أن يأتيَ العميلُ ذو الوجهَين للتعارف علينا في الساعة السادسة تمامًا.

ابتسم «عثمان» قائلًا: لعلَّنا الآن تحت رقابتِه ... وألقى نظرةً إلى الكافيتريا الواسعة الخالية فلم يلمح أحدًا ...

أحمد: برغمِ كلِّ وسائل التكنولوجيا المتقدمة، فهي لا تزال تعتمد على العنصر البشري اعتمادًا خاصًّا ... وبدونه لا يكون لأجهزة الأمن أية قيمة.

تساءلَت «إلهام» بعد لحظة: هل تظنون أن الطائرة الشبح ستعاود الظهورَ مرةً أخرى ومهاجمةَ حقولِ البترول في هذه البلاد ... خاصةً وأن تحرُّكَ أجهزةِ أمن «المكسيك» لكشف أسرار هذه الطائرة لا بد وأن يكون قد لفت أنظارهم؟

أحمد: هذا سؤالٌ ذكيٌّ ... وما أتوقَّعُه أن الضربةَ ستحدث في موعدها تأكيدًا على أن أصحاب هذه الطائرة لا يخشَون أحدًا ... ولأنهم لا يمكن أن ينسحبوا فجأةً بعد أن أنفقوا مئاتِ الملايين في تجهيز هذه الطائرة ليخسروها فجأةً.

عثمان: إنك على حقٍّ في ذلك ... ولكن ما أخشاه أن تُغيرَ الطائرةُ الشبح من مكانِ ضربتِها القادمة ... فلا تختار حقولَ البترول المكسيكية بل مكانًا آخر.

أحمد: لا أظنُّ أن أحدًا يجرؤ على الاقتراب من آبار البترول الأخرى ... فهناك أجهزةٌ في غاية الدقة والتكنولوجيا تقوم بحراستها وحمايتها ...

وعلى ذلك فالهجوم عليها يمثِّل مخاطرةً غيرَ مأمونةِ العواقب حتى بالنسبة للطائرة الشبح.

إلهام: ولكنه يظلُّ احتمالًا قائمًا ... وربما لأجل ذلك كان قرار رقم «صفر» بإرسالنا إلى «المكسيك» للوصول إلى سرِّ هذه «الطائرة الشبح» ومَن يقف خلفها ... فربما تكون الضربةُ التالية بعد «المكسيك» هي آبارَ بترولِ دولةٍ أخرى.

أحمد: أعتقد أن هذا ما فكَّر فيه رقم «صفر» تمامًا ... فهو لا يترك شيئًا للمصادفة ...

زبيدة: لقد استمعتُ إلى نشرة أخبار الصباح في سيارة التاكسي، وعرفتُ أن أسعار برميل البترول قد ارتفعَت ثلاثة دولارات مرةً واحدة مساء الأمس.

إلهام: إن هذا يعكس الشائعات التي انطلقَت في أعقابِ ضربِ حقول البترول الفنزويلية، وتوقُّفها عن العمل ... برغم أن دولًا أخرى قد زادَت من إنتاجها لتعويض هذا النقص.

أحمد: لقد لاحظتُ أيضًا سربًا من الطائرات المكسيكية العسكرية كانت تجوب سماء البلاد وتقوم بمناورات ماهرة قبل هبوط طائرتنا بلحظات في مطار العاصمة.

عثمان: لقد لاحظتُها أنا أيضًا.

زبيدة: إنني لا أدري كيف سنقوم بمطاردة الطائرة الشبح عند ظهورها.

أحمد: إن ذلك سيتضح عند ظهورِ رجلِ الأمن المكسيكيِّ الذي يعمل لحساب العصابة. في نفس الوقت، وفي نفس اللحظة أقبل داخل الكافيتريا شابٌّ في الثلاثين بوجهٍ أسمرَ تبدو عليه ملامحُ أهلِ البلاد. وكان يرتدي القبعةَ المكسيكيةَ الشهيرة التي خلعها من رأسه بيده

اليسرى وأمالَها جهةَ الكتف اليمنى، واقترب من الشياطين قائلًا بالإسبانية: إن هذا الصباح يبدو ممتعًا لطيور النورس لتُمارسَ لَهْوَها.

كانت تلك هي إشارةَ التعارفِ لرجل الأمن ... فتصافح الشياطين معه وجلس الشابُّ قائلًا: اسمي «جونز كويل».

وتم التعارف مع الشياطين بعد أن قدَّموا أنفسهم، وقال «جونز» لقد تأخرتُ قليلًا؛ فقد كنتُ أتلقَّى رسالةً من رؤسائي بخصوصِكم.

أحمد: وما هي الأوامر التي صدرَت إليك بشأننا؟

جونز: سوف نتجه في المساء إلى مدينة «أكابولكو» الساحلية. وعلى مسافة منها يقع أهمُّ حقول البترول المكسيكية والتي حلَّقَت فوقه الطائرةُ الشبح منذ أيام قليلة ... وقد أصدرَت الحكومةُ المكسيكية أوامرَها بمنع الاقتراب من ذلك المكان، وأوقفَت ضخَّ البترول فيه لتقليل الأضرار إلى أقصى حدٍّ إذا ما حدث هجومٌ على هذه الآبار.

عثمان: إذن فقد وصلَت معلوماتٌ بحقيقة ما حدث في «فنزويلا» إلى المسئولين في «المكسيك»، فأخذوا احتياطاتِهم أيضًا.

جونيز: هذا صحيحٌ تمامًا ... والآن سأترككم لتأخذوا قسطًا من الراحة والنوم؛ فمن المؤكد أن الأيام القليلة القادمة ستكون مليئةً بالمتاعب.

تبادل الشياطين النظراتِ ... ونهضوا وغادروا مائدتَهم بعد تناوُل إفطار خفيف، وصَعِدوا إلى حجراتهم، وتجمَّعوا داخل حجرة «أحمد» الذي أشار لهم بأن يمكثوا في مكانهم، وهو يقول: أعتقدُ أننا الآن في حاجة ملحَّة للنوم، هيَّا اذهبوا إلى فراشكم، ونومًا هادئًا.

ثم أخرج من جيبه جهازًا صغيرًا لاكتشاف الميكروفونات المخبَّأة في المكان ... وراح يبحث في كلِّ الأركان حتى أضاء الجهازُ بشدة أمام «أباجورة» صغيرة ... وكان هذا يعني أنه يوجد بالداخل ميكروفون سريٌّ لنقل ما يدور داخل حجرة الشياطين إلى مكان مجهول.

تساءلَت «إلهام» بلغةِ الإشارات: مَن تظنون قد وضع هذا الميكروفون؟

أجاب «أحمد» بنفس اللغة: إنه احتمالٌ من اثنين ... إما أن صاحبنا «جونز كويل» رجل الأمن المكسيكي الذي يرغب في معرفة ما يدور في عقولنا ... أو التقاط أية أسرار عن منظمتنا نقولها بالمصادفة في أحاديثنا ... ولذلك علينا أن نكون في منتهى الحذر ...

عثمان: أعتقد أن الاحتمالَ الثاني أصدقُ؛ فنحن مراقَبون من جهة أخرى ... ربما أصحاب الطائرة الشبح.

أحمد: هذا صحيح ... فلعلهم قد علموا بمهمتنا من عميلهم، وأرادوا معرفةَ خطوتنا القادمة ... ونحن لن نقرِّرَ شيئًا قبل الوصول إلى موقع آبار وحقول البترول ومشاهدتها على الطبيعة ... والآن إلى النوم.

تفرَّق الشياطين الستة ... فبقيَ «أحمد» و«عثمان» في حجرتهما ... واتجه «خالد» و«قيس» إلى الحجرة الثانية ... على حين شغلَت «إلهام» و«زبيدة» الحجرة الثالثة.

وفي السادسة مساءً كان الجميع قد استيقظوا وبدَّلوا ملابسهم بعد حمامٍ باردٍ استعادوا به نشاطهم. كان الجوُّ حارًّا رغم غيابِ الشمس والرطوبة عالية ... وهو ما يفسِّر سرَّ تلك العادة المقدسة في نوم أهل البلاد وقتَ الظهيرة حين تشتدُّ الحرارة، فيستحيل على أيِّ إنسان القيام بأي عمل ... وأيضًا القبعة العريضة التي يستعملها سكان البلاد في حياتهم للحماية من ضربات الشمس ...

غادر الشياطين حجراتهم. وكان «جونز» في انتظارهم أمام الفندق بسيارتَي «لاندروفر» مجهزتَين لاختراقِ الصحراء والمناطق الصخرية ... وقد جُهِّزَت بالماء والطعام ... وحمل الشياطين حقائبَهم القليلة إلى السيارتَين، وتولَّى «جونز» قيادةَ أولاهما ... على حين تولَّى «أحمد» قيادةَ الثانية ... وقد اتفق الشياطين ألَّا يُخبروا «جونز» بأمرِ اكتشافهم للميكرفون السريِّ ...

انطلقَت السيارتان تخترقان العاصمة المكسيكية التي ارتدَت حلةً من الأضواء الساطعة والإعلانات الملونة، ثم ظهرَت مشارفُ الصحراء ... والطريق الأسفلتي يخترقها في قلب الظلام ... والسيارتان الكبيرتان تخترقانه في سرعة.

وعوَى صوتُ ذئبٍ قريب ... ثم تلاشَت مظاهرُ الحياة في المكان ... ولم يَعُد يظهر غير رءوس التلال والصخور على البعد ... وليس في المكان من ضوءٍ في العتمة وغياب القمر ... غير ضوء سيارتَي «اللاندروفر»، وبعد أكثر من ثلاث ساعات من السير المتواصل ... هبَّت رائحةُ البحر الصعبة باليود والملح، فشعر الشياطين بالانتعاش.

ظهرَت إلى اليسار معالمُ مدينة «أكابولكو» الساحلية العامرة بالأضواء والنشاط وعددٌ من اليخوت يُرسي فوق شواطئها، ولكن «جونز» انحرف بسيارته يمينًا نحو منطقة صخرية بعيدًا ... وفي أقصى اليمين ظهرَت أبراج الآبار البترولية وقد خفَّفت أضواءَها إلى أقصى حدٍّ وتوقَّف نشاطُها وبدَت كأنها مدينةٌ للموتى ... على حين كان يُحيط بالمكان عددٌ كبيرٌ من العربات المصفحة والدبابات والجنود المدجَّجين بالسلاح توقُّعًا لهجوم الطائرة الشبح.

واستطاع «جونز» المرورَ بتصريحٍ خاصٍّ ... واتجه مع الشياطين إلى منطقة جبلية ذات مدخل من الصلب، وقال للشياطين: سيكون هذا مقرَّ إقامتكم خلال الأيام القادمة ...

تبادل الشياطين النظراتِ في دهشة، ثم زادَت دهشتُهم عندما انفتح الباب المصفح ... وظهر ما خلفه.

الخدعةُ!

كان المكانُ أشبهَ بقلعة حصينة مليئة بالمعدات والأجهزة الإلكترونية المعقدة. وقال «جونز»: لقد تمَّ تجهيزُ هذا المكان لكم بسرعة لمراقبةِ كلِّ ما يجري حول آبار البترول حتى تتدخلوا في اللحظة المناسبة.

أحمد: إن أكثرَ ما نحتاجه طائرة من طراز خاص، لها قدراتٌ عالية يمكنها مطاردة الطائرة الشبح إذا حاولَت القيام بهجومها.

جونز: إنها جاهزة!

وضغط على زرٍّ في يساره ... فتحرَّك حائطٌ صخري كاشفًا عن طائرة صغيرة شبيهة بالطائرة الأمريكية «إف ١٦»، وقال: هذه الطائرة تعتبر أحدثَ طائرة مقاتلة في العالمِ كلِّه، وهي تطوير للطائرة «إف ١٦» غير أنها أصغر حجمًا وأكبر سرعة، وهي لا تزال في طور التجارب ولم تدخل الخدمةَ الجوية المكسيكية.

تساءل بعيون ضيقة: هل يمكنكم قيادتها؟

إلهام: لقد تدرَّبنا على قيادة أغلب أنواع الطائرات، ومنها الـ «إف ١٦»!

جونز: ومَن الذي سمح لكم بالتدريب على مثل هذه الطائرة؟!

ترامق الشياطين في صمتٍ ... وتحدَّث «أحمد» قائلًا: لقد تدرَّبنا عليها بوسيلة ما ... لسنا في مجال الكشف عنها.

جونز: كما تشاءون ... لقد أردتُ الاطمئنان فقط. والآن سأترككم لتستوعبوا هذا المكان جيدًا، وبالنسبة للطائرة التي أمامكم فيوجد أمامها ممرٌّ قصيرٌ يمكنها أن تندفع فوقه قبل الارتفاع في الفضاء ... فهذه الطائرة مجهزةٌ للممرات القصيرة وللعمل فوق حاملات الطائرات.

وغادر «جونز» المكان ... وراح الشياطين يتأملون الطائرة الحديثة التي تُشبه الصقر ... وقال «عثمان»: إنها رائعةٌ.

تفرَّق الشياطين في المكان يتفحصونه ويختبرون أجهزته ويتعاملون معها ... وأشرقَ نورُ الفجر في الخارج، وتبادل الشياطين أوقاتَ الراحة وهم جالسون أمام أجهزة الرادار والرصد التي تراقب كلَّ شيء بالخارج ... ولاحظَ الشياطين ازديادَ القوات المسلحة حول الآبار في الخارج ومضاعفة عدد الجنود ...

وفي المساء التالي تجمَّع الشياطين يراقبون الطائرات الحكومية، وقد راحَت تحلِّق فوق آبار البترول ...

قال «خالد»: إن ساعة الصفر تقترب ... تبقَّت أربع وعشرون ساعةً لحين ظهور تلك الطائرة العجيبة.

فجأة تصاعد لغطٌ في الخارج، واندفعَت المصفحات والدبابات تغادر المكان في اضطراب، فاندهش الشياطين وأسرعوا نحو قائد القوات الذي قال لهم لاهثًا في غضب: لقد تعرَّضنا لخدعة؛ فالطائرة الشبح تهاجم حقول البترول في خليج «المكسيك»، أمام مدينة «تمبيكو»، وسيستحيل علينا الوصول إلى هناك في الوقت المناسب لحمايتها ... خاصة وأنها بلا حماية.

إلهام: مدينة «تمبيكو»، إنها تبعد عن هنا أكثر من أربعمائة كيلومتر.

أحمد: فلنُسرع إلى الطائرة الحربية.

اندفع الشياطين إلى الطائرة وقفزوا إلى مقاعدهم، وضغط «أحمد» على زرٍّ فتحِ الأبواب فانفتحَت على مصراعَيها ... وضغط على أزرار التشغيل داخل الطائرة ... ولكنها بقيَت على حالها دون حركة ولم تَدُر محركاتُها.

زبيدة: ماذا حدث ... لماذا لم تَدُر المحركات؟

أحمد: لا أدري ... لعل عطلًا أصابها.

قال «خالد» في شكٍّ: أو لعل يدًا عبثَت بها لإعطابها.

إلهام: ما العمل الآن ... إننا بحاجةٍ للتحرُّكِ السريعِ.

ضاقَت عينَا «أحمد» وقال: لقد توقعتُ هذا.

تساءلَت «إلهام»: ما الذي توقعتَه يا «أحمد»؟

أحمد: ليس هذا وقتَ الاستفسارات، اتبعوني!

اندفع إلى إحدى سيارات «اللاندروفر»، وقفز بداخلها وانطلق بأقصى سرعةٍ جهة الغرب، وبقية الشياطين خلفه في العربة الأخرى وعلى مسافة كيلومترات قليلة أوقف «أحمد»

السيارة أمام أحد التلال ... وتَبِعه الشياطين الخمسة فذُهلوا لما يشاهدونه ... كانت طائرةُ الشياطين الحربية المطورة قابعةً في مكانها يغطِّيها غطاءٌ بلون رمال الصحراء. أسرع «أحمد» يجذبُه بعيدًا، ثم قفز إلى داخل حجرة القيادة فأسرع بقية الشياطين خلفه.

أدار «أحمد» محركاتِ الطائرة ... التي درجَت فوق الأرض الرملية الممهدة، ثم ارتفعَت مقدمةُ الطائرة كالنسر في الفضاء ... وانطلقَت تشقُّ أجواءَ السماء نحو مدينة «تمبيكو».

ألقى «أحمد» نظرةً إلى ساعته، وقال: سنَصِل خلال خمس وعشرين دقيقة ... وأرجو ألَّا يكونَ وصولُنا بعد فوات الأوان.

عثمان: ولكن مَن الذي أرسل إلينا طائرتنا بهذه السرعة؟

أجاب «أحمد»: قبل أن نسافر إلى «المكسيك» طلبتُ من رقم «صفر» أن تسبقَنا طائرتُنا الحربية الخاصة وتنتظرنا على مسافة قليلة من مدينة «أكابولكو» احتياطيًّا ... فقد كان قلبي يُحدِّثني أننا سنحتاج إليها وهو ما حدث ... وقد زوَّدني رقم «صفر» بخريطةٍ تُبيِّن الموقع الذي سنعثر فيه على الطائرة خلف التلال.

قالت «إلهام» بإعجاب: لقد فكرت بطريقة صحيحة يا «أحمد».

قال «أحمد» بقلق: المهمُّ الآن أن نصلَ في الوقت المناسب.

ومرَّت الدقائقُ بطيئةً ... وهتفَت «زبيدة»: انظروا ...

وأشارَت بأسفل جهة اليسار ... وقد ظهر لهبٌ هائلٌ اندلع في قلب السماء كأنه عينُ جهنم ... قالت «إلهام» بغضب: إنها آبار البترول، لقد هُوجمَت.

وتوالَت الانفجارات بأسفل ... وتحوَّلَت آبار البترول إلى كتلةٍ من اللهب ... وقد اندفعَت الطائرات الحربية المكسيكية تحلقُ في السماء باحثةً عن العدو المجهول دون جدوى ...

عثمان: لقد وصلنا بعد فوات الأوان بالفعل ... فقد قامت تلك الطائرة اللعينة بمهمتها على أسوأ وجه!

زبيدة: وشاشة الرادار في طائرتنا لا تكشف غيرَ الطائرات المكسيكية.

وفجأةً صرخَت «إلهام»: انظروا.

وأشارَت إلى نقطة بعيدة في أقصى اليمين ... وقد ظهر شيءٌ أسودُ اللون يُشبه خفاشاتٍ قبيحةً.

خالد: إنها الطائرة الشبح ... هذا لا شك فيه؛ فصورتُها لا تظهر على الرادار.

عثمان: لنُسرع بمطاردتها.

لم يكن «أحمد» بحاجة إلى مَن يطلب منه ذلك ... فقد انطلق بطائرة الشياطين خلف الطائرة الشبح بأقصى سرعة ...

صرخَت «زبيدة»: حاذر يا «أحمد».

فقد انطلق من الطائرة الشبح صاروخٌ كالصاعقة نحو طائرة الشياطين. وعلى الفور أدار «أحمد» الطائرةَ باتجاهٍ معاكس على شكل نصف دائرة ليتفادَى الصاروخ الرهيب ... ونجح «أحمد» في الهرب من الصاروخ ... واعتدل بمهارة في مساره بسرعة، وألقى نظرةً إلى السماء المعتمة أمامه ... ولكن لم يكن للطائرة الشبح أيُّ أثر ...

وهتف في غضب: أين اختفَت هذه الطائرة اللعينة؟

إلهام: لا بد أنها ارتفعَت عاليًا، واختفَت في قلب السحب المظلمة، وبدون أن يرصدَها رادار طائرتنا فيستحيل علينا مطاردتها ومعرفة وِجْهتها.

ظهر عددٌ من الطائرات الحربية المكسيكية تمسح السماء أمام الشياطين بحثًا عن الطائرة الشبح دون فائدة ... على حين تحوَّلَت حقول البترول بأسفل إلى كتلة من اللهب ... وقد اندفعَت سيارات الإسعاف والمطافي في محاولة بائسة للسيطرة على الحريق ونقل المصابين.

غمغم «أحمد» قائلًا: إن أفضل مكان يختفي فيه قائدُ الطائرة الشبح هو قلب المحيط ... فلن تُواصلَ المقاتلات المكسيكية مطاردتَه هناك.

إلهام: معك حقٌّ يا «أحمد»؛ فقد كانت الطائرة الشبح متجهةً إليه قبل أن تفقد أثرها.

اندفع «أحمد» بطائرته عائدًا بزاوية حادة باتجاه المحيط الهادي ... ومرَّت دقائق قبل أن يظهر سطحُ المحيط بأسفل ... مظلمًا مثل بركةٍ سوداء ... وارتفع «أحمد» بطائرة الشياطين إلى أقصى ارتفاعٍ مخترقًا السحبَ القليلة المتجمعة في قلب السماء ... وفجأةً ومضَت لمبةٌ صغيرة في لوحة إلكترونية أمام «أحمد».

كان ذلك يعني أن هناك صاروخًا حراريًّا قد انطلق خلف طائرة الشياطين ... ولم يكن هناك شكٌّ في المصدر الذي أطلقه، إنها الطائرة الشبح.

على الفور أدار «أحمد» مقودَ الارتفاع هابطًا بطائرته بسرعة، بينما الصاروخ الحراري يتبعه كالشيطان ... وعاود «أحمد» الارتفاع، والصاروخ يتعقَّبه بلا هوادة، وقد قصرت المسافة بينهما كثيرًا ... وراحَت عيون الشياطين تُتابع تلك المطاردة الجهنمية في قلق شديد ... وفي اللحظة المناسبة ضغط «أحمد» على زرٍّ بجواره ... وفي الحال سقط من طائرة الشياطين صندوقٌ مشتعلٌ ... وعلى الفور جذبَت الحرارةُ الصاروخَ الذي اندفع نحو الصندوق واصطدم به في انفجار ضخم ... وعاود «أحمد» الارتفاعَ بطائرة الشياطين الذين ظهر على وجوههم الارتياح ... وقالت «إلهام»: إن فكرةَ هذا الصندوقِ الساخن مفيدةٌ جدًّا لمواجهة تلك الصواريخ الحرارية.

أحمد: المهم الآن أن نعثر على تلك الطائرة الشبح التي تزوغ منَّا كالزئبق.

اندفع إلى قلب السحب باحثًا عن طريدته ... وانقضَت دقائقُ قليلة وطائرة الشياطين تمسح السماء في كلِّ اتجاه ... وأخيرًا ظهرَت الطائرة الشبح على مسافة كيلومتراتٍ قليلة، وقد استقرت على ارتفاعٍ عالٍ، تشقُّ السماء في اطمئنان.

صاح «عثمان» في غضب: فلتصوِّب نحو هذه الطائرة صاروخًا يحوِّلها إلى جحيمٍ مشتعل.

أحمد: لا يا «عثمان» ... إننا نريد أن نَصِل إلى مَن يقف وراء هذه الطائرة ... وليس الهدفُ تدميرَها.

إلهام: إذن ماذا سنفعل؟

أحمد: سوف نُطاردها على مسافة قريبة.

زبيدة: ولكن في ذلك خطورة علينا ... فقد يصوِّبون علينا صواريخ أخرى ...

أحمد: أعتقد أن صواريخهم داخل الطائرة قد نفدَت؛ ولذلك بادرَت الطائرة بالهرب.

إلهام: ولكنهم يشاهدوننا على شاشة راداراتهم ويعرفون أننا نطاردهم من الخلف ...

أحمد: هذا لا شكَّ فيه ... وربما يحاولون تضليلَنا لنفقد أثرَهم.

إلهام: ولكنهم لن يستمروا في ذلك طويلًا بسبب احتمال نفاد وقودهم بعد تلك الرحلة الطويلة ... وأرجو أن يضطروا للهبوط في مطارهم السريِّ لنكتشفَ مكانهم ... ولم تكَد «إلهام» تُكمل عبارتَها حتى اندفعَت الطائرة الشبح لأعلى بسرعة في قلب السحب ... فأسرعَت طائرة الشياطين خلفها.

اختفَت الطائرةُ الشبحُ في قلب سحابة كبيرة ... ثم عادَت تظهر بعد أن تجاوزَتها.

قال «أحمد»: إنهم يحاولون تضليلَنا.

عثمان: أعتقد أن وقودَهم أوشك على النفاد ... وسيضطرون إلى الهبوط سريعًا ... وكان «عثمان» على حقٍّ ... فقد كشفَت الطائرة الشبح عن نفسها تمامًا ولم تحاول أية مناورة أخرى ... ثم قلَّلَت من سرعتها وراحَت تحوم فوق سطح المحيط مقتربةً من جزيرةٍ صغيرة وهي تستعدُّ للهبوط، فالتفتَ «أحمد» في انتصار إلى بقية الشياطين قائلًا: لقد تحقَّق هدفُنا ... وعرفنا المكان الذي تختفي فيه هذه الطائرة.

إلهام: ألن نُسرعَ بالهبوط خلفها؟

أحمد: لا ... سيكون في ذلك خطورةٌ علينا ... فنحن لا نعرف ما الذي ينتظرنا في قلب هذه الجزيرة، وسيكون من الأفضل الاتصالُ برقم «صفر» وتبليغه بمكان الجزيرة،

ولم يُكمل «أحمد» عبارته؛ ففي نفس اللحظة شاهد ما أوقف الكلماتِ فوق طرف لسانه ... فقد اندفع من قلب الجزيرة ثلاثُ طائراتِ ميراج. وانطلقَت الطائرات الثلاث في قلب السماء مثل ومضةِ ضوءٍ، وهتفَت «إلهام» ذاهلةً: هذه الطائرات الثلاث ... إنها تبدو وكأنها ستهاجمنا.

كانت «إلهام» على حقٍّ؛ ففي اللحظة ذاتها انطلق من الطائرات الثلاث ثلاثةُ صواريخ قاتلة باتجاه طائرة الشياطين، وبدَا أنه ليس هناك أملٌ للشياطين في النجاة ... وأنه لم يَعُد يفصلهم عن الموت سوى غمضةِ عينٍ.

المفاجأةُ!

لم يكن هناك أيُّ أملٍ على الإطلاق والصواريخ الثلاثة تنطلق كأنها رءوسٌ شيطانيةٌ نحو طائرة الشياطين ... وتُوشك أن تنفجرَ فيها مهتديةً بحرارة محركاتها ...

وأغمض الشياطين عيونَهم وقد توقَّعوا الموت في اللحظة التالية، ولكن «أحمد» فعل شيئَين على الفور في وقتٍ واحدٍ ... فقد أوقف محركاتِ الطائرة حتى يقلِّل من درجة حرارتها ... ثم اندفع بالطائرة إلى أسفل ... واندفعت الصواريخ الثلاثة نحوه ...

ولكن درجة حرارة الصواريخ المشتعلة صارت أعلى من درجة حرارة طائرة الشياطين ... فاندفعَت الصواريخ الثلاثة نحو بعضها، ثم انفجرَت في لحظة واحدة ... ودوَّى صوتُ انفجارها رهيبًا فوق سطح المحيط ...

على الفور أدار «أحمد» محركات الطائرة مرةً أخرى بين ذهول بقية الشياطين وعدم تصديقهم، وهتف «أحمد»: لقد آن الأوان لتلقين هؤلاء المجرمين درسًا قاسيًا ... واندفع بطائرته لأعلى بسرعتها القصوى ... وانقضَّ من الخلف على أولى طائرات الميراج فأصابها بصاروخٍ في منتصفها ... وانفجرَت الطائرة وتناثرَت مشتعلةً فوق المحيط ...

واندفعَت الطائرتان الثانيتان تهاجمان طائرة الشياطين ... وأطلقَت كلٌّ منهما صاروخًا ثانيًا ... فاندفع «أحمد» بطائرته هابطًا بأقصى سرعته إلى المحيط ... وقد أوشك أن يمسَّ سطحَ الماء ثم اعتدل في اللحظة المناسبة صاعدًا لأعلى ... على حين لم يتمكن الصاروخان من القيام بنفس المناورة فاصطدمَا بسطح الماء وانفجرَا.

هتفَت «إلهام»: إنك رائعٌ يا «أحمد» ... أنت أفضلُ طيارٍ شاهدتُه في حياتي ...

فأجابها: إن العرضَ لم ينتهِ بعدُ.

وألقى نظرةً إلى جهازٍ صغيرٍ بجواره، ثم قال في قلقٍ: لقد نفدَت صواريخنا ... لم يَعُد لدينا ما ندافع به عن نفسها.

قالت «زبيدة» في قلقٍ أشد: إن الوقود يوشك أن ينفد أيضًا ... وما تبقَّى منه لن يكفيَنا أكثر من خمس دقائق.

عثمان: إننا بحاجة إلى معجزة لإنقاذنا، والوقود لن يكفيَنا للذهاب إلى أيِّ مكانٍ.

قيس: ليس أمامنا غيرُ الهبوط فوق سطح الجزيرة التي هبطَت فوقها الطائرةُ الشبح.

خالد: لا أظنُّ أن طائرتَي الميراج المسلحتَين ستسمحان لنا بذلك ... فلا بدَّ أن الأوامر الصادرة لهما هي تدميرنا.

ألقى «أحمد» نظرةً لأسفل، فشاهد الجزيرة على مسافةِ كيلومتراتٍ قليلة إلى الأمام، وطائرتَا الميراج تستعدَّان لهجومهما الأخير عليه. وألقى نظرةً إلى عداد الوقود ولمبة التحذير الحمراء المشتعلة ... لم يبقَ من الوقود سوى ما يكفيه للهبوط فوق الجزيرة. ونبتَت فكرةٌ في رأس «أحمد»، فهتف في بقية الشياطين: ليس أمامنا سوى عملٍ وحيدٍ ... أن نهاجم الطائرة الشبح فوق الجزيرة وننسفها.

هتفَت «إلهام» في دهشة عظيمة: كيف سننسفها وقد نفدَت صواريخُنا ...؟

لكن «أحمد» لم يلتفت إليها ... واندفع بطائرته كالصاروخ نحو الطائرة الشبح الرابضة فوق الجزيرة ... وصرخَت «زبيدة» في رعب: ماذا تفعل يا «أحمد» ... هل تريدنا أن ننتحر جميعًا بتفجير طائرتنا في الطائرة الشبح.

ولكن «أحمد» لم يستمع إليها ... فقد كان عقلُه مشغولًا بشيء آخر ... وقد تحقَّق ما أراد ... وقد تنبَّه طيارو الميراج إلى ما ينوي «أحمد» أن يفعلَه ... وجاءتهما الأوامر بمنعه من تلك العملية الانتحارية بأيِّ ثمنٍ ...

واندفعَت طائرتَا الميراج نحو طائرة «أحمد» ... واحدة من اليمين والأخرى من اليسار ... وطائرة الشياطين في المنتصف ... والطائرات الثلاث تندفع بأقصى سرعتها لأسفل ... وأطلقَت طائرتَا الميراج صاروخَين في لحظة واحدة بعد أن تقاربَت الطائراتُ الثلاث إلى حدٍّ كبيرٍ ... وفي نفس اللحظة ارتفع «أحمد» بطائرته بطريقة مفاجئة ...

وفوجئ طيارو الميراج بهروب طائرةِ الشياطين ... واكتشفوا خدعةَ الشياطين، ولكن اكتشافهم جاء متأخرًا جدًّا ... فقد اندفع الصاروخان إلى الهدفَين القريبَين نحو طائرتي الميراج ... وقد انطلق كلُّ صاروخٍ إلى الطائرة الأقرب له.

وانفجرَت الطائرتان ...

صاحَت «إلهام» من السرور: حركةٌ مدهشةٌ يا «أحمد» ... إنها حركةٌ إعجازيةٌ.

هتفَت «زبيدة»: لقد ظننتُ أن مصيرَنا لن يكون أفضلَ من هذه الطائرات.

وتأرجحَت طائرةُ الشياطين في الهواء ... كان الوقود قد نفد تمامًا ... وقال «قيس» في توتر: من الأفضل لنا مغادرة الطائرة والهبوط بالمظلات في قلب المحيط وإلا فستهوي إلى الماء وتتحطم بنا.

قال «أحمد» في إصرارٍ: إننا لن نتخلَّى عن طائرتنا ... ولا زال لدينا أملٌ أخيرٌ ...

كانت طائرة الشياطين مندفعةً بقوةِ دفْعِها ... وقد ظهرَت تحتها جزيرةُ الطائرةِ الشبحِ وممرُّ الهبوطِ ... وناور «أحمد» بطائرته ليقلِّلَ من سرعة اندفاعه لأسفل. وفي اللحظة المناسبة اندفع نحو ممرِّ الهبوط فوق الجزيرة ... ثم أوقف طائرته في المنتصف تمامًا ... والتفت إلى بقية الشياطين باسمًا، وهو يقول: هل كان الهبوط ممتعًا؟

لكن أحدًا من الشياطين لم يبتسم لدعابة «أحمد» ... وتساءلَت «إلهام» في قلق: ترى ماذا ينتظرنا فوق هذه الجزيرة؟

وجاءت الإجابة سريعةً في شكل عددٍ من المسلحين بالمدافع الرشاشة والقنابل والعربات المصفحة، واندفعوا نحو طائرة الشياطين وأحاطوا بها من كل جانبٍ ... وجاء صوتٌ من الخارج يقول بالإنجليزية: استسلموا فلا أملَ لكم.

عثمان: سوف نقاتل مهما كان الثمن.

أحمد: لن يُفيدَنا ذلك في شيءٍ ... فهم أكثرُ منَّا عددًا ونحن بلا سلاح على الإطلاق. بالإضافة إلى أننا نرغب في الحصول على بعض المعلومات ولن يُفيدَنا القتال في الحصول عليها.

خالد: وهل سنستسلم لهؤلاء المجرمين؟

أحمد: إنه مجردُ تكتيكٍ مبدئيٍّ. وقلبي يحدِّثني بأن هناك مفاجأةً عظيمةً تنتظرنا داخل هذه الجزيرة ... هيَّا بنا.

فتح «قيس» أبوابَ الطائرةِ ... وهبط منها الشياطين إلى أرضِ الجزيرةِ، وعلى الفور أحاط بهم المسلحون ولوَّحَ قائدُهم في وجه الشياطين قائلًا وهو يُشير إلى إحدى السيارات ... اركبوا هذه السيارة دون مقاومة.

اتجه الشياطين إلى السيارة الجيب وركبوها في صمتٍ، فانطلقَت بهم في قلب الجزيرة التي تناثرَت بداخلها الأشجار الاستوائية، وكان هناك عددٌ قليلٌ من المباني قد طُلِيَت بلونِ صخورِ الجزيرةِ حتى لا تظهرَ تفاصيلُها من أعلى ...

أما الطائرةُ الشبحُ فقد اختفَت تمامًا من فوق الجزيرة وتقابلَت نظراتُ الشياطين في دهشة ... فأين اختفَت؟! كانوا واثقين أنها لم تعاود الطيران. فأين اختفت؟

التفتَ «أحمد» إلى قائد الرجال المسلحين قائلًا: إن جزيرتكم مجهزةٌ بطريقة فنية رائعة خاصةً أرضيتها التي تتحرك لتكشف عن حظائر الطائرات في قلبها.

ظهرَت الدهشةُ الشديدة على وجه القائد، وقال: وكيف عرفتَ ذلك؟

أحمد: لم يكن الأمرُ بحاجةٍ إلى ذكاء شديد ... فأين يمكن أن تكون قد اختفَت الطائرةُ الشبحُ إلا أن يكون لها حظيرةٌ في قلب الجزيرة، وأيضًا طائرات الميراج الثلاث التي انطلقَت لمهاجمتنا، فأنتم لم تغامروا بتركهم فوق سطح الجزيرة، فلعل أحدَ الأقمار الصناعية يلتقط صِوَرَها ويفضح سرَّ هذه الجزيرة.

هتف قائد الحرس في «أحمد»: إن بعض الناس تكون مشكلتهم الذكاء الشديد ...

إلهام: معك حقٌّ ... ولا أظنُّ أنك تعاني من هذه المشكلة على الإطلاق!

ارتعش وجهُ قائد الحرس، وظهر عليه الغضبُ الشديد لإهانة «إلهام»، وامتدَّت يدُه إلى وجهها لصفْعِها ... ولكنه كان من الغباء أن يحاولَ ذلك بكلِّ تأكيدٍ ... فقد كانت حركةُ الشياطين أسرعَ ألف مرةٍ من الفتيات ... وامتدَّت يد «أحمد» لتُمسكَ بيد قائد الحرس وتضغط عليها بقوةٍ. وأحسَّ الرجلُ بالألمِ الشديدِ ... فامتدَّت يدُه الأخرى نحو مدفعه الرشاش، ولكن الوقت لم يتسع له لاستخدامه ... فقد انطلقَت قبضةُ «أحمد» نحوه، فأطاحَت به من قلب السيارة ... وهكذا بدأت المعركة ... المعركة التي لم يخطِّط لها الشياطين على الإطلاق، لكنهم وجدوا أنفسهم في قلبها. فقد امتدَّت أيدي الحراس إلى أسلحتهم بعد أن رأوا ما حدث لقائدهم ... وفي نفس اللحظة قفز الشياطين الستة من أماكنهم داخل السيارة الجيب في حركة بهلوانية، وانطلقَت رصاصاتُ الحراس ولكنها أصابَت المقاعدَ الخالية.

وقفز الشياطين الستةُ نحو أقرب الحراس إليهم. وطارَت قبضاتُهم وأقدامهم في ضرباتٍ مؤلمة نحو وجوه وأبدان الحراس.

ولكنَّ مزيدًا من الحراس اندفعوا إلى المكان ... وتعالَت أصوات طلقات الرصاص، فاحتمى الشياطين خلف أحد المباني القليلة ... وانفجرَت قنبلةٌ بجوارهم فألقَوا بأنفسهم بعيدًا ...

وعندما نهض الشياطين من على الأرض كان عشراتٌ من الحراس يطوونهم بعيونٍ مشتعلةٍ بالشرر ... وبينهم قائدُ الحرس الذي أُصيب إصابةً داميةً في وجهه ... اقترب قائد الحرس من «أحمد» والجنون يلمع في عينَيه وهتف به: لقد ارتكبتَ خطأً فاحشًا وستدفع ثمنه فورًا.

وامتدَّت أصابعُه إلى مدفعه الرشاش ... واستعدَّ الشياطين لخوض معركة أخيرة مهما كانت نتائجها ... وتقابلَت عيون الشياطين وتفاهموا بما سيفعلونه ... ولكن قبل أن يضغط قائدُ الحرسِ على زناد مدفعه الرشاشِ ... وقبل أن تبدأ حركة الشياطين جاء صوتٌ غاضبٌ من الخلف يقول لقائد الحرس: أيها الغبيُّ الأحمق ... لقد طلبتُ منك القبضَ على هؤلاء الشياطين أحياء. التفتَ الجميعُ إلى الخلف نحو الصوت الغاضب ... واتسعَت عيون الشياطين من المفاجأةِ غيرِ المتوقعةِ على الإطلاقِ. كان المتحدث هو «جونز كويل» رجلُ الأمنِ المكسيكي والعميل ذو الوجهين ... وكان من الواضح أن له علاقةً كبيرة بأصحاب تلك الجزيرة!

الخطة الجهنمية!

شخصٌ وحيدٌ لم تؤثر فيه المفاجأة؛ لأنه كان يتوقعها ... كان هذا الشخصُ هو «أحمد» ... واقترب منه «جونز» وهو يقول: يبدو أن ظهوري لم يكن مفاجأةً لك يا عزيزي ...

أحمد: لقد توقعتُ ذلك منذ البداية ... منذ اكتشفنا تعطُّلَ الطائرة التي منحَتها لنا السلطات الوطنية لنطاردَ بها الطائرة الشبح ... فلم يكن باستطاعةِ أحدٍ تعطيلَها غيرُك ... لأنه لم يكن مسموحًا لأحد بدخول المكان غيرك.

جونز: هذا صحيحٌ ... فأنا الذي عطلتُ هذه الطائرة ... وقد أدهشني أنكم أخذتم احتياطيًّا لذلك فأحضرتم طائرتكم الخاصة بكم ...

أحمد: نحن عادةً لا نترك شيئًا للحظِّ أو المصادفة.

جونز: معك حقٌّ. إن مطاردتك لطائرتنا وتغلبكم على ثلاث طائرات ميراج وتفجيرها يدل على أنكم تلقَّيتم تدريبًا لا مثيلَ له. وأنكم تمتلكون من البراعةِ الشيءَ الكثير ...

أحمد: لا يبدو أن خسارتكم لثلاث طائرات ميراج قد أزعجكم كثيرًا.

جونز: ولماذا ننزعج بسبب هذه الخسارة القليلة. إن ثمنها لن يزيدَ على مائة مليون دولار، يمكن تعويضها في صفقة صغيرة لمجموعتنا.

تساءل «أحمد»: مجموعتكم ... أية مجموعة؟

جونز: ستعرفون كلَّ شيءٍ في الوقت المناسب ... وأشار إلى رجاله فاقتادوا الشياطين مرةً أخرى إلى داخل السيارة الجيب تحت الحراسة ... وانطلقَت بهم السيارة إلى قلب الجزيرة ... وهناك شاهد الشياطين محطةَ كهرباء ضخمةً تمدُّ الجزيرةَ بالطاقة ...

وساروا إلى مبنًى كبيرٍ ... واقتادهم الحرسُ إلى داخل قاعة كبيرة، كان يقف لحراستها عددٌ من المسلحين. وأشار «جونز» للشياطين بالجلوس، وهو يقول: خذوا راحتكم ... وتستطيعون أن تطلبوا ما تشاءون من طعام أو شراب ...

تساءلت «إلهام»: هل أنت حلقةُ الوصل ما بين أصحاب هذه الجزيرة وبعض الأشخاص في جهاز الأمن.

أجاب «جونز» وهو يحتسي كأسًا من الشراب: هذا صحيح تمامًا ... ولكن لكي نُبعدَ الشبهة عن مجموعتنا خاصةً وأن البعض داخل الجهاز بدأ يشكُّ فينا ... لذلك اقترحنا أن تتدخل مجموعةٌ أخرى في البحث عن سرِّ الطائرة الشبح ... ووقع اختيارُنا عليكم باعتبار أن الشياطين الـ «١٣» هي الأشهر في هذا المجال ... وقد أثبتم أنكم تستحقون ما نلتموه من شهرة، وهو الشيء الذي يجب أن أعترف به.

قيس: ولكننا لا نعرف حتى الآن مَن هم أصحاب هذه الجزيرة والطائرة الشبح؟

جونز: إنهم مجموعةٌ من رجال الأعمال في كثير من دول العالم ... ومصادر نشاطهم متنوعةٌ غير أنهم يشتركون في شيء واحد ... هو أنهم يمتلكون عددًا من شركات وآبار البترول الموزعة في كل أنحاء العالم.

أحمد: لقد بدأتُ أفهم ... إن ضرْبَ بعضِ حقول البترول يؤدي إلى ارتفاع أسعاره بشكلٍ جنونيٍّ ... قال «جونز» وبالتالي فإن أصدقاءَنا ستتزايد دخولهم وأرباحهم من ارتفاع سعر البترول، ويمكنك أن تقدِّر أن ارتفاع سعر برميل البترول بمقدارِ دولارٍ واحد معناه ربحٌ زائدٌ مقداره مائة مليون دولار لأصدقائنا في اليوم ...

قيس: يا لَه من ربحٍ خرافيٍّ!

جونز: ولهذا فقد أنفقنا الكثيرَ لتجهيز هذا المكان، والحصول على الطائرة الشبح.

إلهام: وأنتم ... ما علاقتكم بأصحاب آبار وشركات البترول؟

جونز: لقد كانوا بحاجة إلى الحماية أولًا ... ثم إلى عقلية تنظيمية عالية؛ لتسهل لهم العثور على الشخص المناسب الذي يستطيعُ صنْعَ طائرةِ شبحٍ صغيرة ... فقمنا بتهريب «كميل» ليقوم بصنع طائرتنا الصغيرة، وبالطبع فإن ثمن تعاوننا هو المشاركة في الأرباح المنتظرة ... وها قد بدأنا في جَنْي هذه الأرباح.

وضغط على زرٍّ بجواره فأُضيئَت شاشةٌ إلى يساره، وقال «جونز»: هذه الشاشة متصلةٌ بمحطةِ أخبارٍ اقتصادية عالمية.

ظهر المذيع على الشاشة وهو يقول بانزعاج: لقد حدثت حمَّى في سوق البترول ... وبعد الانفجارات الغامضة في حقول بترول المكسيك وقبلها فنزويلا ... فقد ارتفعَت أسعار البترول بشكل جنوني وفي وقتٍ قياسيٍّ ... وأصبح هناك هلعٌ في كلِّ حقول البترول العالمية من أن يحدثَ لها نفس الشيء ... وقد أوقفَت بعضُ الدول ضخَّ البترول من آبارها خوفًا

من تعرُّضِها للانفجار والتدمير مما ضاعف من الأزمة وزاد الأسعار لهيبًا ... وينتظر أن يرتفع سعر برميل البترول إلى مائة دولار. ولا زال العالمُ كلُّه يتساءل في ذهول عن سرِّ ما حدث لحقول البترول الفنزويلية و«المكسيك».

ضغط «جونز» على زرِّ الجهاز بجواره فأوقفه ... وتبادل الشياطين النظراتِ في صمتٍ وغضب ... فقد تحقَّق هدفُ هؤلاء المجرمين.

وقال «خالد» في غضبٍ: من المؤسف أن العالَمَ لا يزال يعيش فيه أشخاصٌ بعقلية مريضة مثلكم لا يهمُّهم غيرُ المال بأيِّ ثمنٍ.

إلهام: سوف تنكشف أسرار هذه الجريمة الكبرى.

ضحك «جونز» قائلًا: ومَن الذي سيكتشفها. إن وجودَنا القويَّ داخل أجهزة الأمن في المكسيك يجعلنا نتطلَّع على أسراره ونحمي أنفسنا في الوقت المناسب، بالإضافة إلى أن تورُّطَ كثيرٍ من السياسيِّين ورجال الأعمال في دول كثيرة سيمنع من كشف هذه الأسرار التي ستُدين الكثيرين.

زبيدة: ولكن العالمَ مقبلٌ على كارثةٍ ... سوف ينهار اقتصادُ العالمِ كلِّه إذا وصل سعر برميل البترول إلى مائة دولار.

نهض «جونز» وهو يقول: ومَن الذي قال إن برميل البترول سيكون ثمنُه مائةَ دولار فقط؟

وابتسم بخبثٍ وهو يضيف: إننا نقوم بضربتِنا القادمة، سوف ترتفع أسعارُ برميل البترول إلى مائتَي دولار!

تساءل «قيس»: ضربتكم القادمة ... أين؟

جونز: ستكون الضربة التالية في مكانٍ أكبرِ مخزونٍ للبترول في العالم!

صاحَت «زبيدة» في غضبٍ هادرٍ: أيها المجنون ... ماذا تقول؟

قيس: إنه مجنونٌ بالفعل وفي حاجة إلى درس قاتل.

ولكن وقبل أن يتحرك «قيس» صُوِّبَت إليه فوهاتُ ستةِ مدافع رشاشة من الحراس، وبلغةِ العيون طلب «أحمد» منه أن يهدأَ لمعرفة المزيد من التفاصيل من «جونز».

قال «جونز» ساخرًا: كان يمكنني أن أطلب منكم المساعدة والاستفادة بمهارتكم العالية لكي تنضمُّوا إلينا وتُشاركونا في عملياتنا ... وأرباحنا ... لولا أن معلوماتنا عنكم تقول إنه لا يمكن شراؤكم بأيِّ ثمنٍ.

قال «أحمد» في هدوء: ولكنك لن تبخل علينا بمعلومات أخيرة.

جونز: أنا على استعداد لإبلاغكم بأية معلومات.

أحمد: ستقومون بالضرب مباشرةً وبدون توقُّعٍ.

جونز: تمامًا ... فالمفاجأة هي أساسُ عملنا؟

أحمد: ومتى تنوون توجيهَ هذه الضربة؟

جونز: ليس أفضل من الطَّرق على الحديد وهو ساخنٌ ... إن طائرتنا الرائعة يتم تزويدها بالوقود والصواريخ الآن ... وفي منتصف الليل تمامًا سوف ننطلقُ إلى مهمتنا الأخيرة ... وبعدها نكون نحن ملوكَ البترول في العالم، وانطلق «جونز» يضحك في هيستيريا ... وظهر القلق الشديد على وجوه الشياطين ... فقد كان تحقيق ما يقوله «جونز» يعني تدميرَ الخليج ودمار العالم اقتصاديًّا ... وكان يجب منعه بأيِّ ثمنٍ.

قطَّب «أحمد» حاجبَيه متسائلًا لـ «جونز»: ولكن لماذا أخبرتَنا بكل هذه المعلومات، ألَا تخشى من إفشائها.

جونز: بالطبع أنا واثق أنكم لن تُفشوا شيئًا مما سمعتموه ... فالموتى لا يتكلمون بالأسرار يا عزيزي، ففي نفس اللحظة التي ستنطلق فيها طائرة الشبح ... سوف يتم إعدامكم بطريقة رائعة.

وبذلك نضمن ألَّا يُفشيَ أحدٌ سرَّنا أبدًا.

وأشار إلى حرَّاسه، فاندفعوا نحو الشياطين ... وقال «جونز» للحراس: خذوهم إلى زنزانتهم ... وضعوهم تحت الحراسة الشديدة.

تحرك الشياطين نحو باب الخروج، وعقولهم تعمل بسرعة رهيبة ... ورافقهم صوتُ «جونز» الذي جاء يقول: لقد نسيتُ أن أُخبرَكم أن هبوطكم الرائع فوق جزيرتنا ... وكذلك قدرات طائراتكم قد أوحيَا لي بفكرة رائعة ... فقد رأيتُ ألَّا تقومَ طائرتُنا وحدها بمهمة الليلة، بل ستشاركها طائرةٌ أخرى سنقوم بتسليحها بالصواريخ وملْئِها بالوقود.

إلهام: أتعني طائرتنا؟

جونز: بالطبع فسوف يتم إسقاط طائرتكم بعد ذلك الهجوم، أما طائرتنا فستهرب ككل مرة، وفيما بعد عندما يقوم الخبراء بفحص طائرتكم بعد إسقاطها فسوف يتعرفون على أصحابها ... وستتجه أصابع الاتهام إليكم ... على حين نكون نحن بعيدين عن مصادر الشكوك تمامًا ... وأنتم طبعًا لن تخرجوا من قبوركم للاعتراف بالحقيقة!

انطلق «جونز» يضحك في جنون ووحشية، وأصاب الشياطين الذهولُ لتلك الخطة الجهنمية التي أخبرهم بها «جونز» لتوريطهم أمام العالم.

كان على الشياطين أن يفعلوا شيئًا لإنقاذ العالم مما ينتظره من كوارث، ولكن ما الذي يستطيعون أن يفعلوه وهم مهددون بفوهات المدافع الرشاشة ... ودفعهم الحراس بعنف خارجين من المكان باتجاه مبنًى آخرَ صغيرٍ، كان من الواضح أنه مبنى السجن حيث ينتظرهم الموت في منتصف الليل!

خطة للهروب!

أشار «عثمان» إلى «أحمد» بلغةِ الأصابع قائلًا: فلننتهز هذه الفرصة في ضرب الحراس والهرب قبل أن يضعونا في الزنزانة ...

وأجاب «أحمد» بنفس اللغة: لن يكون الهرب في صالحنا الآن ... يجب أن ننتظر حتى منتصف الليل ولن يصعب علينا مغادرة الزنزانة.

ودفع الحراس بالشياطين الستة إلى داخل الزنزانة وأغلقوا بابها عليهم، وقد وقف أربعة منهم على حراستها ... وبنفس اللغة قال «عثمان» في حيرة: لماذا ضيعتَ علينا يا «أحمد» فرصةَ التخلص من الحراس والهرب قبل سجننا.

أجابه «أحمد»: حتى إذا تمكنَّا من الهرب من الحرس، فلن نتمكن من مغادرة الجزيرة الآن ... ولننتظر حتى يتمَّ تزويدُ طائرتنا بالوقود؛ ليسهل علينا مغادرة الجزيرة بواسطتها.

عثمان: معك حقٌّ.

وراح الشياطين يراقبون عقارب الساعة التي راحَت تقترب من الثانية عشرة، وقبله بدقائق انفتح باب الزنزانة ... وظهر عددٌ من الحراس المسلحين يتقدمهم قائد الحرس في الجزيرة، وقد صوب مدفعه الرشاش إلى الشياطين قائلًا: لقد حانت اللحظة التي سأنتقم فيها منكم ... الآن ... ثم تنبَّه إلى شيء عجيب ... فقد كان عدد الشياطين الواقفين أمامه خمسة فقط ... وتساءل في دهشة: أين زميلكم السادس؟

– أنا هنا.

قفز «أحمد» من أعلى فسقط فوق قائد الحرس وأطاح ببندقيته. وكانت تلك هي إشارة البدء لبقية الشياطين ... فاندفعَت «زبيدة» و«إلهام» إلى حارسَين آخرين وأمسكَا بهما من ياقتَيهما ... وبحركة جودو بارعةٍ، وفي لحظةٍ واحدة استلقيَا على الأرض ورفعتَا

الحارسَين فوق قدمَيهما وألقيتَا بهما إلى الخلف في عنفٍ ... وهكذا وقع الحارسان فسقطَا على الأرض بلا حَراكٍ.

اندفع «خالد» و«قيس» إلى حارسَين آخرَين، فقفزَا في الهواء ... وبضربتَين محكمتَين أطاحَا بسلاحَي الحارسَين، ثم أطاحَا بالحارسَين إلى خارج الزنزانة.

وتحاشَى «عثمان» طلقاتِ الرصاص التي انطلقَت من الحارسَين ... وامتدَّت يدُه إلى كرته المطاطية العجيبة «بطة» وألقاها على الحارس الذي ترنَّح من الألم ثم تهاوَى على الأرض بلا حَراكٍ ... وعلى الفور التقط الشياطين مدافع الحراس الرشاشة وتأهبوا لقتال طويل ...

قال «أحمد»: سوف نقوم بتقسيم أنفسنا إلى ثلاث مجموعات ... الأولى تتكوَّن من «زبيدة»، و«إلهام»، ومهمَّتُهما هي تفجير محطة الكهرباء التي تمدُّ الجزيرة بالكهرباء لكي يسودَ الظلامُ والاضطراب المكان.

وأشار إلى «خالد» و«قيس» قائلًا: أما أنتما فعليكما مشاغلة حراس الجزيرة بحرب عصابات ... تختفيان أثناءها وتناوشان الحراس لشغلهم حتى لا ينتبهوا إلى حقيقة ما نفعله. أما أنا و«عثمان» فسوف نتجه إلى الطائرة ونحاول منعها من مغادرة الجزيرة بأيِّ ثمنٍ. وسنتقابل أمام ممرِّ الهبوط في الثانية عشرة تمامًا.

وانطلق «أحمد» و«عثمان» لتنفيذ مهمتهما ... وتسلَّلَت «إلهام» و«زبيدة» محتميتَين بالظلام باتجاه محطة الكهرباء ... واندفع عددٌ من الحراس وقد جذبهم صوتُ إطلاق الرصاص داخل الزنزانة، فقفز «خالد» و«قيس» عليهما ... وبعد معركة قصيرة تمدَّد الحارسان بلا حَراكٍ.

وأقبل عددٌ آخر من الحراس ... وانطلقَت رصاصات «خالد» و«قيس»، فألقى الحرس بأنفسهم على الأرض ... وتراشق الرصاص واندفع مزيدٌ من الحراس إلى المكان ... وهمس «خالد» لـ «قيس»: لتُطلق أكبرَ قدرٍ من الرصاص لاجتذابِ أكبرِ عددٍ من الحرس لكي يقومَ بقيةُ الشياطين بعملهم في أمان. وبالفعل فقد اجتذبَت أصواتُ الطلقات أعدادًا أخرى من الحراس ... وراح الفريقان يتبادلان الرصاص والشياطين متحصنون خلف حائطٍ حجريٍّ قويٍّ.

توقَّف «أحمد» و«عثمان» عندما ظهر عددٌ من الحراس ... وهمس «أحمد» لـ «عثمان»: إن ملابسنا ستكشفنا حتمًا ... وستجعل الحراس يندفعون لمهاجمتنا ... ومن الأفضل لنا تغييرها بملابس حرس الجزيرة.

عثمان: معك حقٌّ ... وسأتكفل بذلك.

وانطلقَت «بطة» في مهمة عاجلة، فسقط أحدُ الحراس بلا حَراكٍ عندما أصابَته في مؤخرة رأسه في مركز الإحساس والوعي ... وجرَّه «عثمان» إلى مكانهما المظلم ... ومرةً أخرى انطلقَت «بطة» إلى رأس حارس آخر ... وفي أقل من دقيقة كان الشياطين قد بدَّلَا ملابسهما ... وانطلقَا نحوَ ممرِّ الهبوط البعيد على أطراف الجزيرة.

دوَّت أصوات الرصاص بعيدًا، فهمسَت «إلهام» لـ «زبيدة»: يبدو أن «خالد» و«قيس» يخوضان معركةً صعبة.

زبيدة: فلنُسرع بنسف محطة الكهرباء لكي يسودَ الظلامُ الجزيرةَ فيساعدهما على الهرب من الرصاص.

إلهام: هيَّا بنا.

وفجأةً أوقفهما صوتٌ جاء من الخلف يقول: قفَا مكانكما، وارفعَا أيديَكما لأعلى ... واستديرَا ببطءٍ.

توقَّفَت «إلهام» و«زبيدة»، ورفعتَا أيديَهما ببطءٍ ... واستدارتَا بنفس البطء لتشاهدَا حارسًا يصوِّب سلاحه إليهما ... وما إن شاهد ملامحهما حتى هتف في ذهول: يا إلهي كيف تمكنتما من الهرب من الزنزانة؟

أجابَته «إلهام»: بهذه الطريقة.

كانت هذه الطريقة هي قفزة في الهواء انطلقَت بعدها قدمُ «إلهام» كالرصاصة إلى الحارس فألقَت به مترين إلى الوراء ... واستولَت «إلهام» على سلاحه، واندفعَت مع «زبيدة» إلى محطة الكهرباء التي كان يقف على حراستها اثنان من الحراس ... وتسلَّلَت الاثنتان مقتربتَين من المكان وبضربتَين من الخلف تهاوَى الحارسان على الأرض دون أن ينطقَا بكلمة ...

فدفعَت «زبيدة» باب المحطة فانكشفَت لها ... وظهر بداخلها عددٌ كبيرٌ من المحولات والأذرع الميكانيكية والأجهزة المعقدة ...

تساءلَت «زبيدة» في حيرةٍ: كيف سننسف هذه المحطة الكبيرة؟

إلهام: إن الأمر لا يحتاج إلا لبضعِ رصاصات، ثم تنسف المحطة نفسها بنفسها ...

أطلقَت بضعَ رصاصات من مدفعها الرشاش نحو بعضِ المحولات القريبة، فانطلق منها شررٌ كبيرٌ.

واندفعَت «إلهام» و«زبيدة» تغادران المكان بسرعة، في الوقت الذي تعالَى فيه انفجارٌ شديدٌ داخل المحطة ... واندلعَت منها النيران ... ثم دوَّى انفجارٌ هائلٌ وتناثرَت أجزاء المحطة في كل مكان.

وساد الظلامُ قلب الجزيرة، فرفعَت «إلهام» إصبعَيها بعلامة النصر ... ثم انطلقَت الاثنتان باتجاه ممر الهبوط تُسابقان الزمن.

معركة في السماء!

كان «خالد» و«قيس» محاصرَين بعدد كبير من الحراس وقد أوشكَا على الانكشاف بعد نفاد ذخيرتَيهما ... ولكن انقطاع النور عن المكان حماهما في قلب الظلام. فراحَا يزحفان مبتعدين، وقد ساد الاضطراب الحراس بعد انفجار محطة الكهرباء ...

وانطلق الشيطانان إلى مكان الالتقاء ... فتقابلَا مع «إلهام» و«زبيدة» عند ممر الهبوط الذي كان يبعد عنهما بأكثر من كيلومتر.

وصل «عثمان» و«أحمد» إلى ممرِّ الهبوط لاهثين ... فشاهدَا الطائرةَ الشبحَ وطائرتهما وقد تأهبت للانطلاق ... وفي الحال اندفع الاثنان كلٌّ منهما باتجاه إحدى الطائرتين ... فقفز «أحمد» نحو طائرة الشياطين، وفتح بابها ... وقبل أن ينتبهَ طيارُها كانت يدُ «أحمد» تجذبه بعنف خارج الطائرة. وفي اللحظة الأخيرة كانت الطائرة تنطلقُ فيها بسرعة فوق الممر، أما «عثمان» فما كاد يصل إلى أبواب الطائرة الشبح ويفتحها ... حتى فوجئ بضربة قوية من الداخل ألقَت به إلى خارج الطائرة.

كانت ضربةً من «جونز» الذي كان يقود الطائرة الشبح بنفسه ... وانطلقَت الطائرة الشَّبح في الفضاء وخلفها طائرة الشياطين ... وقد شاهد «أحمد» ما حدث لـ «عثمان».

سقط «عثمان» متألمًا على الأرض ... واندفع إليه بقيةُ الشياطين لاهثين ... وسألَته «إلهام»: ماذا حدث يا «عثمان»؟

أجابها «عثمان»: لقد تمكَّن هذا اللَّعين «جونز» من الانطلاق بالطائرة الشبح.

خالد: وأين «أحمد»؟

عثمان: لقد تمكن من ركوب طائرتنا وانطلق خلف الطائرة الشبح.

قيس: لقد صار هو أملَنا الأخير ... وأرجو أن يتمكَّن من نسف الطائرة الشبح فوق المحيط.

زبيدة: دعونا نستغل وجودنا فوق هذه الجزيرة بنسفها وتدميرها ... حتى لا يستخدمَها أحدٌ في الشرِّ مرةً أخرى ... فإذا عاد «أحمد» من مهمته سالمًا فسنغادر هذه الجزيرة الملعونة معه، أما إذا لم يتمكن من العودة فسنكون قد قمنا بواجبنا، وسنلاقي أيَّ مصير هنا ونحن راضون. وانطلق الشياطين الأربعة إلى مخزن ذخيرة قريب ... وبعد معركة قصيرة مع حُرَّاسِه تمكنوا من دخوله واستولوا على عدد كبير من القنابل اليدوية والحارقة ... وانطلق الشياطين الأربعة في كلِّ أرجاء الجزيرة ينسفون مبانيَها وتجهيزاتِها ... فتحوَّلَت الجزيرة إلى كتلة من اللهب، واندفع حراسها يهربون في كلِّ اتجاهٍ صارخين من النيران التي أحاطَت بهم من كلِّ اتجاه ...

وفي السماء كانت تجري معركة أخرى ... فقد كانت الطائرة الشبح تنطلق بأقصى سرعتها محاولةً الهرب والاختفاء عن عينَي «أحمد» ... ولكنه انطلق بطائرته خلفها في مطاردة مميتة، وكان أكثر ما يضايق «أحمد» الظلام الذي يعمُّ السماء ... والطائرة الشبح السوداء تبدو وكأنها قطعةٌ من الظلام.

واقترب «أحمد» من الطائرة الشبح إلى أقصى حدٍّ وأطلق صاروخًا تجاهها ... ولكنها تمكَّنَت من المناورة وتحاشيه ... ثم أطلقَت صاروخًا نحو طائرة «أحمد» فأسقط صندوقًا حراريًّا اصطدم به الصاروخ وفجَّره ... واقترب «أحمد» من الطائرة الشبح بقدرٍ يُتيح له القدرة على الهرب أو المناورة ... ثم أطلق صاروخه الثاني.

وانطلق الصاروخ إلى هدفه ... ودوَّى انفجارٌ هائلٌ ... وتحوَّلَت الطائرة الشبح إلى شظايا محترقة سقطَت في قلب المحيط. واندفع «أحمد» بطائرته عائدًا إلى الجزيرة ... فشاهدها وقد تحوَّلَت إلى كتلةٍ من اللهب ... وشاهد مجموعةً كبيرةً من الحراس تُحاصر الشياطين بالقرب من الشاطئ ويُطلقون عليهم قنابلهم ورصاصهم ...

اندفع «أحمد» إلى شاطئ الجزيرة. وما إن شاهد الشياطين الخمسة طائرةَ «أحمد» حتى أدركوا ما سيفعله ... فألقَوا بأنفسهم في قلب الماء ... في الوقت الذي انطلق فيه صاروخ من الطائرة واصطدم بالأرض، فانفجر في وجوه الحرس الذين تساقطوا قتلى وجرحى ...

واندفع الشياطين إلى ممرِّ الهبوط الذي اندفعَت نحوه طائرتهم التي هدَّأَت سرعتَها، وفتح «أحمد» باب الطائرة فقفز الشياطين داخلها ... وانطلقَت الطائرة فوق الممرِّ بأقصى سرعتها وارتفعَت في الجو ... في اللحظة التي انفجر فيها ممرُّ الهبوط وتحوَّل إلى كتلةٍ من اللهب.

حلَّقَت طائرة الشياطين فوق الجزيرة المشتعلة والشياطين يُلقون عليها نظرة أخيرة ...

قال «عثمان»: لقد لاقَى هؤلاء المجرمون سكان هذه الجزيرة عقابَهم الذي يستحقونه وتحطَّمَت طائرتهم وهذا الخائن «جونز» أيضًا وصارَت آبارُ بترولنا في أمانٍ.

إلهام: ولكن الرءوس الكبيرة التي موَّلَت هذه العملية الإجرامية لم تُصَب بضررٍ.

أحمد: قد نتمكن من الوصول إليها يومًا ما … ووقتَها لن يكون مصيرُها أفضلَ من مصير مَن كانت نهايتهم فوق هذه الجزيرة.

انطلقَت طائرة الشياطين عائدةً إلى مقرها السِّري … و«إلهام» تتلقَّى رسالةً من رقم «صفر» بالتهنئة بعملهم الرائع.

هنـــداوي